

تفسير أبي السعود

الأعراف آية ٩ .

الوزن عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل وبه قال مجاهد والأعمش والضحاك واختاره كثير من المتأخرین بناء على أن استعمال لفظ الوزن في هذا المعنى شائع في اللغة والعرف بطريق الكنایة قالوا إن المیزان إنما يراد به التوصل إلى معرفة مقادیر الشيء ومقادیر أعمال العباد لا يمكن إظهارها بذلك لأنها أعراض قد فنيت وعلى تقدیر بقائهما لا تقبل الوزن وقيل إن الأعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح حتى أن الذنوب والمعاصي تتجمس هناك وتتصور بصورة النار وعلى ذلك حمل قوله تعالى وإن جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى الذين يأكلون أموال اليتامى طلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وكذا قوله ﴿فِيْ حَقِّ مَنْ يَشْرُبُ مِنْ إِنَاءِ الْذَّهَبِ وَالْفَضْلَةِ إِنَما يَجْرِرُ فِيْ بَطْنِهِ نَارًا جَهَنَّمَ وَلَا يَعْدُ فِيْ ذَلِكَ أَلَا يَرَى أَنَّ الْعِلْمَ يَظْهُرُ فِيْ عَالَمِ الْمَثَالِ عَلَى سُورَةِ الْلَّبَنِ كَمَا لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ لَهُ خِبْرَةٌ بِأَحْوَالِ الْحَضَرَاتِ الْخَمْسِ وَقَدْ رُوِيَ عَنْ أَبِي عَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا أَنَّهُ يَؤْتَى بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحةِ عَلَى صُورٍ حَسَنَةٍ وَزِبَابِ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ عَلَى صُورٍ قَبِيحةٍ فَتَوُضُّعُ فِيِ الْمِيزَانِ إِنْ قِيلَ إِنَّ الْمَكْلُفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِمَّا مُؤْمِنٌ بِأَنَّهُ تَعَالَى حَكِيمٌ مُنْزَهٌ عَنِ الْجُورِ فَيَكْفِيهِ حَكْمُهُ تَعَالَى بِكِيفِيَّاتِ الْأَعْمَالِ وَكِمِيَّاتِهَا وَإِمَّا مُنْكَرٌ لَهُ فَلَا يَسْلُمُ حِينَئِذٍ أَنْ رَجَحَ بَعْضُ الْأَعْمَالِ عَلَى بَعْضِ الْخَصْوَمِيَّاتِ رَاجِعًا إِلَى ذَوَاتِ الْأَعْمَالِ بَلْ يَسْنَدُ إِلَى إِظْهَارِ ﴿إِنَّهُ تَعَالَى إِيَّاهُ عَلَى ذَلِكَ الْوَجْهِ فَمَا الْفَائِدَةُ فِيِ الْوَزْنِ أَجِيبُ بِأَنَّهُ يُنَكَّشِّفُ الْحَالَ يَوْمَئِذٍ وَتَظَهُرُ جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ بِحَقَائِقِهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ وَبِأَوْصافِهَا وَأَحْوَالِهَا فِيِ أَنفُسِهَا مِنَ الْحَسَنِ وَالْقَبْحِ وَغَيْرُ ذَلِكَ وَتَنَخْلُعُ عَنِ الصُّورِ الْمُسْتَعَرَّةِ الَّتِي بِهَا ظَهَرَتْ فِيِ الدُّنْيَا فَلَا يَبْقَى لِأَحَدٍ مِنْ يَشَاهِدُهَا شَبَهَةً فِيِ اِنَّهَا هِيَ الَّتِي كَانَتْ فِيِ الدُّنْيَا بِعِينِهَا وَإِنْ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا قَدْ ظَهَرَ فِيِ هَذِهِ النَّشَأَةِ بِصُورَتِهِ الْحَقِيقَةِ الْمُسْتَبِعَةِ لِصَفَاتِهِ وَلَا يَخْطُرُ بِبَالِهِ خَلَفُ ذَلِكَ وَإِنَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ فَمَنْ ثَقَلَ مَوَازِينَهُ تَفَصِّيلُ الْأَحْكَامِ الْمُتَرْتِبَةِ عَلَى الْوَزْنِ وَالْمَوَازِينِ إِمَّا جَمْعُ مِيزَانٍ أَوْ جَمْعُ مَوْزُونٍ عَلَى أَنَّ الْمَرَادُ بِهِ مَا لَهُ وَزْنٌ وَقَدْرٌ وَهُوَ الْحَسَنَاتُ إِنْ رَجَحَ أَحَدُهُمَا مُسْتَلِزِمٌ لِرَجَحَانِ الْآخَرِ أَيْ فَمَنْ رَجَحَتْ مَوَازِينَهُ الَّتِي تَوَزَّنَ بِهَا حَسَنَاتُهُ أَوْ أَعْمَالَهُ الَّتِي لَهَا قَدْرٌ وَزَنٌ وَعَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَحَقِّ لَمِيزَانِ تَوْضُعِ فِيهِ الْحَسَنَاتُ أَنْ يَقُلْ وَحْقُ لَمِيزَانِ تَوْضُعِ فِيهِ السَّيِّئَاتُ أَنْ يَخْفَ فَأَوْلَئِكَ إِشَارَةٌ إِلَى الْمُوَصَّلِ بِاعتِبَارِ اِتِصَافِهِ بِثَقْلِ الْمِيزَانِ وَالْجَمِيعَةِ بِاعتِبَارِ مَعْنَاهُ كَمَا أَنَّ جَمْعَ الْمَوَازِينَ لِذَلِكَ وَأَمَّا ضَمِيرَ مَوَازِينَهُ فَرَاجَعٌ إِلَيْهِ بِاعتِبَارِ لِفَظِهِ وَمَا فِيهِ مِنْ مَعْنَى الْبَعْدِ لِلْإِيَّادَانِ بِعَلوِ طَبْقَتِهِمْ وَبَعْدِ مَنْزِلَتِهِمْ فِيِ الْفَضْلِ وَالشَّرْفِ هُمُ الْمَفْلُحُونُ الْفَائِزُونُ بِالنِّجَاةِ وَالثَّوَابِ وَهُمْ إِمَّا ضَمِيرٌ فَصِلٌ

يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند إليه أو مبتدأ خبره المفلحون والجملة خبر لأولئك وتعریف المفلحون للدلالة على أنهم الناس الذين بلغك أنهم مفلحون في الآخرة أو إشارة إلى ما يعرفه كل أحد من حقيقة المفلحين وخصائصهم ومن خفت موازينه أي موازين أعماله أو أعماله التي لا وزن لها ولا اعتداد بها وهب أعماله السيئة فأولئك إشارة إليهم باعتبار اتصافهم بتلك الصفة القبيحة والجمعيّة ومعنى البعد لما مر آنفا في نظيره وهو مبتدأ خبره